وهذا أيضا من قدرته التامة وسلطانه العظيم وهو أنه تعالى يرسل الرياح مبشرات أي بمجيء السحاب بعدها والرياح أنواع في صفات كثيرة من التسخير فمنها ما يثير السحاب ومنها ما يحمله ومنها ما يسوقه ومنها ما يكون بين يدي السحاب مبشرا ومنها ما يكون قبل ذلك يقم الأرض ومنها ما يلقح السحاب ليمطر ولهذا قال تعالى : { وأنزلنا من السماء ماء طهورا } أي آلة يتطهر بها كالسحور والوقود وما جرى مجراهما فهذا أصح ما يقال في ذلك وأما من قال إنه فعول بمعنى فاعل أو إنه مبني للمبالغة والتعدي فعلى كل منهما إشكالات من حيث اللغة والحكم ليس هذا موضع بسطها وا أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي عن أبي جعفر الرازي إلى حميد الطويل عن ثابت البناني قال : دخلت مع أبي العالية في يوم مطير وطرق البصرة قذرة فصلى فقلت له فقال { وأنزلنا من السماء ماء طهورا } قال : طهره ماء السماء وقال أيضا : حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا وهيب عن داود عن سعيد بن المسيب في هذه الاية قال : أنزله ا طهورا لا ينجسه شيء وعن أبي سعيد قال : قيل : يا رسول ا أنتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر يلقى فيها النتن ولحوم الكلاب ؟ فقال [إن الماء طهور لا ينجسه شيء] رواه الشافعي وأحمد وصححه وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي .

وروى ابن أبي حاتم بإسناده : حدثنا أبي حدثنا أبو الأشعث حدثنا معتمر سمعت أبي يحدث عن سيار عن خالد بن يزيد قال : كان عند عبد الملك بن مروان فذكروا الماء فقال خالد بن يزيد : منه من السماء ومنه يسقيه الغيم من البحر فيغذ به الرعد والبرق فأما ما كان من البحر فلا يكون له نبات فأما النبات فمما كان من السماء وروي عن عكرمة قال : ما أنزل ا من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة وقال غيره : في البر بر وفي البحر در .

وقوله تعالى : { لنحيي به بلدة ميتا } أي أرضا قد طال انتظارها للغيث فهي هامدة لا نبات فيها ولا شيء فلما جاءها الحياء عاشت واكتست رباها أنواع الأزاهير والألوان كما قال تعالى : { فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت } الاية { ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا } أي وليشرب منه الحيوان من أنعام وأناسي محتاجين إليه غاية الحاجة لشربهم وزروعهم وثمارهم كما قال تعالى : { وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا } الاية وقال تعالى : { فانظر إلى آثار رحمة ا كيف يحيي الأرض بعد موتها } الاية .

وقوله تعالى : { ولقد صرفناه بينهم ليذكروا } أي أمطرنا هذه الأرض دون هذه وسقنا

السحاب يمر على الأرض ويتعداها ويتجاوزها إلى الأرض الأخرى فيمطرها ويكفيها ويجعلها غدقا والتي وراءها لم ينزل فيها قطرة من ماء وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة قال ابن عباس وابن مسعود Bهم : ليس عام بأكثر مطرا من عام ولكن ا يصرفه كيف يشاء ثم قرأ هذه الاية { ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا } أي ليذكروا بإحياء ا الأرض الميتة أنه قادر على إحياء الأموات والعظام الرفات أو ليذكر من منع المطر إنما أصابه ذلك بذنب أصابه فيقلع عما هو فيه .

وقال عمر مولى غقبة : كان جبريل عليه السلام في موضع الجنائز فقال له النبي صلى ا عليه وسلّم [يا جبريل إني أحب أن أعلم أمر السحاب] قال : فقال له جبريل : يا نبي ا هذا ملك السحاب فسله فقال : تأتينا صكاك مختمة اسق بلاد كذا وكذا كذا وكذا قطرة رواه ابن أبي حاتم وهو حديث مرسل وقوله تعالى : { فأبى أكثر الناس إلا كفورا } قال عكرمة : يعني الذين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وهذا الذي قاله عكرمة كما صح في الحديث المخرج في صحيح مسلم عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم أنه قال لأصحابه يوما على أثر سماء أصابتهم من الليل [أتدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : ا ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال : مطرنا بفضل ا ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي مؤمن بالكواكب]